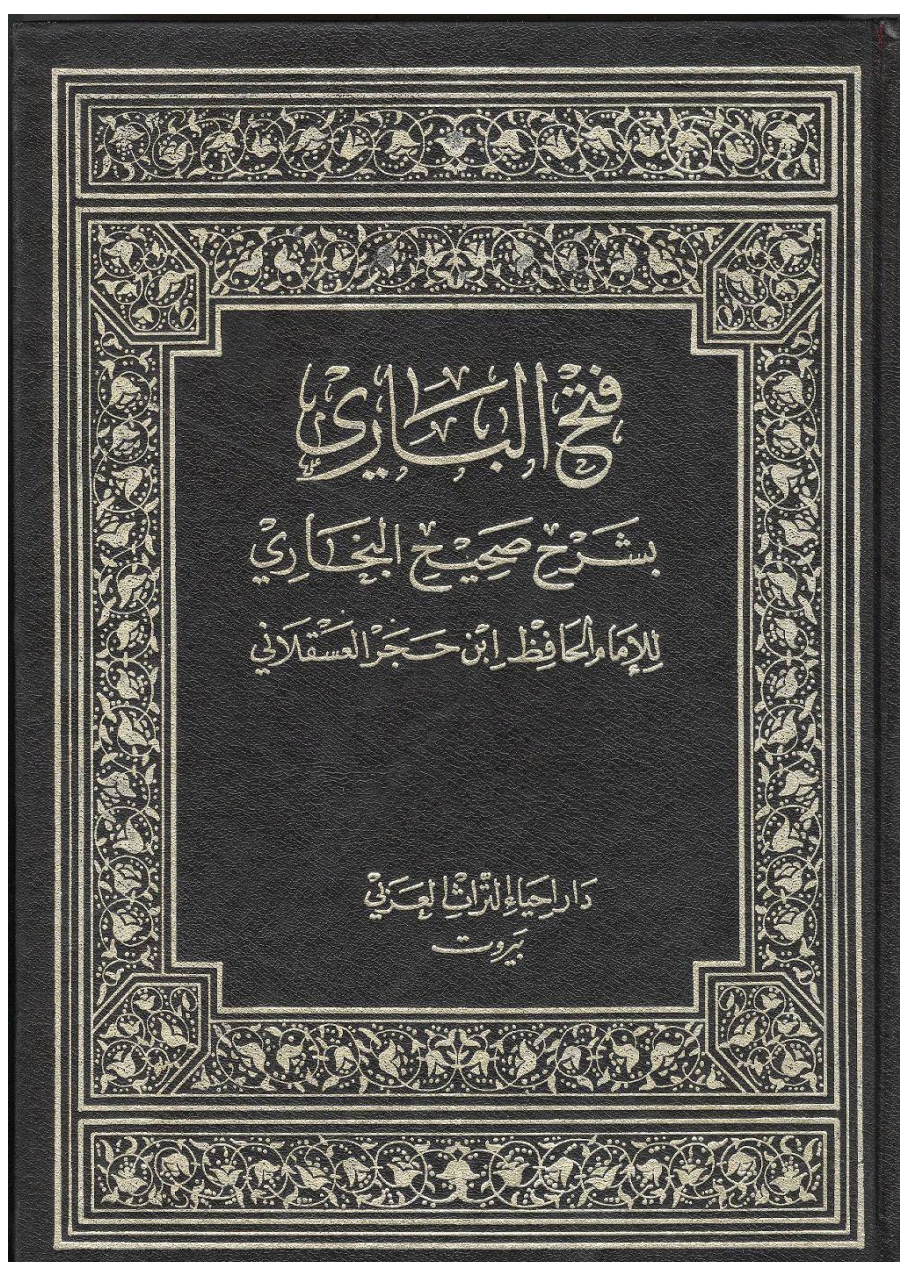


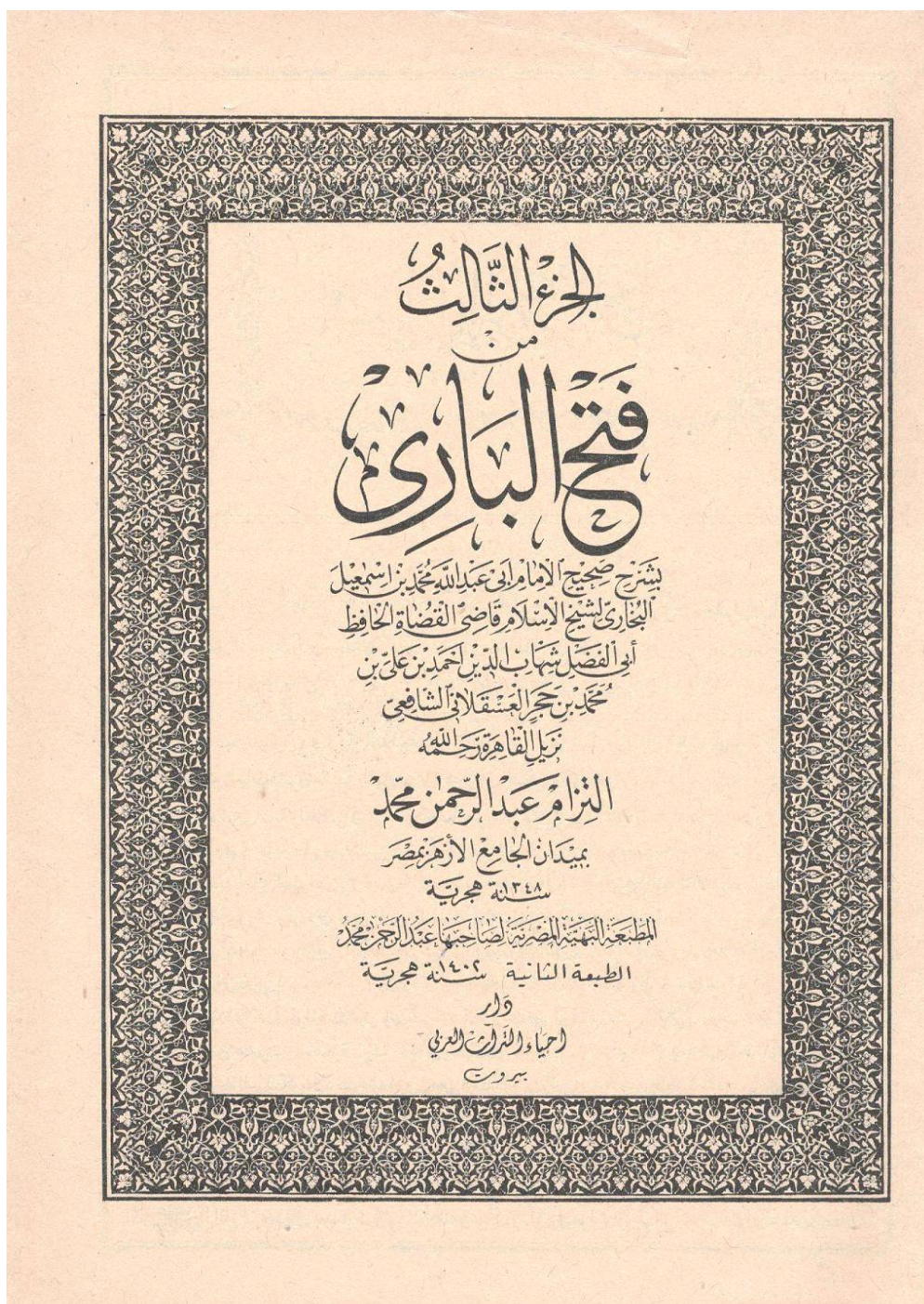
Al-Hafidh Ibn Hajar al-Asqalani

explique comment comprendre

le Hadith an-Nouzoul



L'imam Ibn Hajar al-Asqalani, en expliquant une des versions du hadith du Prophète Mouhammad sallallaahou 'alayhi wa sallam, appelé *hadith an-Nouzoul* (et qui donnerait l'impression que Dieu descend du ciel toutes les nuits), dans son livre *Fath al-Bari*, volume 3, page 23 (vous trouverez ci-dessous les pages 22 et 24 uniquement pour le contexte, mais la phrase se trouve page 23):



حَدَّثَنَا عَوْفٌ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو رَجَاءٍ قَالَ حَدَّثَنَا سَمُرَةٌ بْنُ جُنْدَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الرَّؤْيَا .  
 قَالَ أَمَّا الَّذِي يُثَلِّغُ رَأْسَهُ بِالْحَجَرِ فَإِنَّهُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفِضُهُ وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ **بَابُ**  
 إِذَا نَامَ وَلَمْ يُصَلِّ بِالِ الشَّيْطَانِ فِي أُذُنِهِ **حَدَّثَنَا** مُسَدَّدٌ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ قَالَ حَدَّثَنَا مَنْصُورٌ عَنْ أَبِي  
 وَأُمِّهِ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ قَفِيلٌ مَا زَالَ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحَ مَقَامًا إِلَى الصَّلَاةِ . فَقَالَ  
 بَالَ الشَّيْطَانِ فِي أُذُنِهِ **بَابُ** الدُّعَاءِ وَالصَّلَاةِ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ . وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : كَانُوا قَلِيلًا مِنَ الْآيِلِ  
 مَا يَهْجَعُونَ . أَيْ مَا يَنَامُونَ وَالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَعْفِرُونَ **حَدَّثَنَا** عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ عَنْ مَالِكِ بْنِ شِهَابٍ

فضل من تعار من الليل ويؤيده ما عند ابن خزيمة من الطريق المذكورة فان تعار من الليل فذكر الله ( قوله حد ثنا  
 عوف ) هو الاعرابي ( وأبو رجاء ) هو العطاردي والاسناد كله بصريون وسيأتي حديث سمرة مطولا في اواخر كتاب  
 الجنائز وقوله هنا عن الصلاة المكتوبة الظاهر ان المراد بها العشاء الآخرة وهو اللائق بما تقدم من مناسبة الحديث  
 الذي قبله وقوله يثلم رأسه بالحجر فانه يأخذ القرآن ويرفضه وقوله وينام عن الصلاة المكتوبة بكسر الفاء وضمها  
 \* ( قوله باب اذا نام ولم يصل بال الشيطان في اذنه ) هذه الترجمة للمستملي وحده وللباقين باب فقط وهو بمنزلة  
 الفصل من الباب وتعلقه بالذي قبله ظاهر لما سنوضحه ( قوله ذكر عند النبي ﷺ رجل ) لم اقف على اسمه لكن  
 اخرج سعيد بن منصور عن عبد الرحمن بن يزيد النخعي عن ابن مسعود ما يؤخذه انه هو ولفظه بعد سياق الحديث  
 بنحوه واما الله لقد بال في اذن صاحبكم ليلة يعني نفسه ( قوله قفيل ما زال نائما حتى اصبح ) في رواية جرير عن  
 منصور في بدء الخلق رجل نام ليلة حتى اصبح ( قوله ما قام الى الصلاة ) المراد الجنس ويحتمل العهد ويراد به صلاة  
 الليل أو المكتوبة ويؤيده رواية سفيان هذا عندنا نام عن القرظية اخرج ابن حبان في صحيحه وهذا يتبين  
 مناسبة الحديث لما قبله وفي حديث ابى سعيد الذي قدمت ذكره من فوائد المخلص اصبحت العقد كلها كهيئتها وبال  
 الشيطان في اذنه فيستفاد منه وقت بول الشيطان ومناسبة هذا الحديث للذي قبله ( قوله في اذنه ) في رواية جرير  
 في اذنيه بالثنية واختلف في بول الشيطان قفيل هو على حقيقته قال القرطبي وغيره لا مانع من ذلك اذلا احالة فيه  
 لانه ثبت ان الشيطان يأكل ويشرب وينسكح فلا مانع من ان يبول وقيل هو كناية عن سد الشيطان اذن الذي  
 ينام عن الصلاة حتى لا يسمع الذكر وقيل معناه ان الشيطان ملاسعه بالباطيل فحجب سمعه عن الذكر وقيل هو  
 كناية عن ازدياد الشيطان به وقيل معناه ان الشيطان استولى عليه واستخف به حتى اتخذ كالكسيف المعد  
 للبول اذ من عادة المستخف بالشيء ان يبول عليه وقيل هو مثل مضروب للعافل عن القيام بثقل النوم كمن وقع  
 البول في اذنه فثقل اذنه وفسد حسه والعرب تسكن عن الفساد بالبول قال الراجز \* بال سهيل في الفضيخ ففسد  
 \* وكفى بذلك عن طلوعه لانه وقت افساد الفضيخ فعبر عنه بالبول ووقع في رواية الحسن عن ابن هريرة في هذا الحديث  
 عند احمد قال الحسن ان بوله والله لثقل وروى محمد بن نصر من طريق قيس بن ابي حازم عن ابن مسعود حسب الرجل  
 من الحية والشر ان نام حتى يصبح وقد بال الشيطان في اذنه وهو موقوف صحيح الاسناد وقال الطيبي خص الاذن  
 بالذكر وان كانت العين انسب بالنوم اشارة الى ثقل النوم فان المسامحة هي موارد الانتباه وخص البول لانه اسهل مدخلا في  
 التجاوب واسرع تقوذا في العروق فيورث الكسل في جميع الاعضاء \* ( قوله باب الدعاء والصلاة من آخر الليل )  
 في رواية ابى ذر الدعاء في الصلاة ( قوله وقال الله عز وجل ) في رواية الاصيلي وقول الله ( قوله ما يهجعون ) زاد  
 الاصيلي اي ينامون وقد ذكر الطبري وغيره الخلاف عن اهل التفسير في ذلك فنقل ذلك عن الحسن والاحنف  
 وابراهيم النخعي وغيرهم ونقل عن قتادة ومجاهد وغيرهما ان معناه كانوا ينامون ليلة حتى الصباح لا يتجددون ومن

عَنْ أَبِي سَلَمَةَ وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْأَعْرَبِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا

طريق المنهال عن سعيد بن عباس قال معناه لم تكن تمضي عليهم ليلة الا ياخذون منها ولو شيئا ثم ذكروا الاخر ورجح الاول لان الله تعالى وصفهم بذلك مادحهم بكثرة العمل قال ابن التين وعلى هذا تكون مازائدة او مصدرية وهو ابي الاقوال واقعدا بسلام الله تعالى وعلى الاخر تكون مانافية وقال الخليل جمع يجمع هجوما وهو النوم بالليل دون النهار ثم اورد المصنف حديث ابي هريرة في النزول من طريق الاغرابي عبد الله وابي سلمة جميعا عن ابي هريرة وقد اختلف فيه على الزهري فرواه عنه مالك وحفاظ اصحابه كإهنا واقتصر بعضهم عنه على احد الرجلين وقال بعض اصحاب مالك عنه عن سعيد بن المسيب بدلها ورواه ابو داود الطيالسي عن ابراهيم بن سعد عن الزهري فقال الاعرج بدل الاغرابي فصحفه وقيل عن الزهري عن عطاء بن يزيد بدل ابي سلمة قال الدارقطني وهو وهم والاغرابي المذكور لقب واسمه سلمان ويكنى ابا عبد الله وهو مدني ولهم رواه آخر يقال له الاغرابي ايضا لكن اسمه وكنيته ابو مسلم وهو كوفي وقد جاء هذا الحديث من طريقه ايضا اخرجه مسلم من رواية ابي اسحق السبيعي عنه عن ابي هريرة وابي سعيد جميعا مروفا وغلط من جعلهما واحدا ورواه عن ابي هريرة ايضا سعيد بن مرارة وابو صالح عند مسلم وسعيد المقبري وعطاء مولى ام صبية بالمهملة مصغرا او ابو جعفر المدني ونافع بن جبير بن مطعم كلهم عند النسائي وفي الباب عن علي وابن مسعود وعثمان بن ابي العاص وعمر بن عبد بن عتبة عند احمد وعن جبير بن مطعم ورفاعة الجني عند النسائي وعن ابي الدرداء وعبادة بن الصامت وابي الخطاب غير منسوب عند الطبراني وعن عتبة بن عامر وجابر وجد عبد الحميد بن سلمة عند الدارقطني في كتاب السنة وسأد كرماني وابتاهم من فائدة زائدة (قوله عن ابي سلمة وابي عبد الله الاغرابي عن ابي هريرة) في رواية عبد الرزاق عن معمر بن الزهري اخبرني ابو سلمة بن عبد الرحمن وابو عبد الله الاغرابي صاحب ابي هريرة ان ابا هريرة اخبرها (قوله ينزل ربنا الى السماء الدنيا) استدلل به من اثبت الجهة وقال هي جهة العلو وانكر ذلك الجمهور لان القول بذلك يقضي الى التحيز تعالى الله عن ذلك وقد اختلف في معنى النزول على اقوال فمنهم من جملة على ظاهره وحقيقته وهم المشبهة تعالى الله عن قولهم ومنهم من انكر صحة الاحاديث الواردة في ذلك جملة وهم الخوارج والمعتزلة وهو مكابرة والعجب انهم اولوا ما في القرآن من نحو ذلك وانكر وامافي الحديث اما جهلا واما عناد ومنهم من اجراه على ما ورد مؤمنا به على طريق الاجمال من رآها الله تعالى عن الكيفية والتشبيه وهم جمهور السلف ونقله البيهقي وغيره عن الائمة الاربعة والسفيانيين والحمدانيين والاوزاعي والليث وغيرهم ومنهم من اوله على وجه يليق مستعمل في كلام العرب ومنهم من افرد في التأويل حتى كاد ان يخرج الى نوع من التحريف ومنهم من فصل بين ما يكون تأويله قريبا مستعملا في كلام العرب وبين ما يكون بعيدا مهجورا فاول في بعض وفوض في بعض وهو منقول عن مالك وجزم به من المتأخرين ابن دقيق العيد قال البيهقي واسمها الايمان بلا كيف والسكوت عن المراد الا ان يرد ذلك عن الصادق فيصار اليه من الدليل على ذلك اتفاقهم على ان التأويل المعين غير واجب فينبذ التنقيح واسمها من يبدسط في ذلك في كتاب التوحيد ان شاء الله تعالى وقال ابن العربي حكى عن المبتدعة رده هذه الاحاديث وعن الياف امرارها وعن قوم تأويلها به أقول فاما قوله ينزل فهو راجع الى افعاله لا الي ذاته بل ذلك عبارة عن ملكه الذي ينزل بأمره ونهيه والنزول كما يكون في الاجسام يكون في المعاني فان حملته في الحديث على الحسي فتلك صفة الملك المبعوث بذلك وان حملته على المعنوي بمعنى انه لم يفعل ثم فعل فيسمى ذلك نزولا عن مرتبة الى مرتبة فهي عربية صحيحة انتهى والحاصل انه تاوله بوجهين اما بان المعنى ينزل أمره أو الملك بأمره وأما بأنه استعارة بمعنى التلطف بالداعين والاجابة لهم ونحوه وقد حكى أبو بكر بن فورك ان بعض المشايخ ضبطه بضم أوله على حذف المفعول أي ينزل ملكا ويقويه ما رواه النسائي من طريق الاغرابي عن ابي هريرة وابي سعيد بل غلط ان الله يمهل حتى يمضي شطر الليل ثم يأمر مناديا يقول هل من داع فيستجاب له الحديث وفي حديث

حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ . مَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيَهُ . مَنْ  
يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ

عثمان بن أبي العاص يناد مناد هبل من داع يستجاب له الحديث قال القرطبي وبهذا يرتفع الاشكال ولا يعكر عليه ما في رواية رفاعة الجهني ينزل الله الي السماء الدنيا فيقول لا يسأل عن عبادي غيري لانه ليس في ذلك ما يدفع التأويل المذكور وقال البيضاوي ولما ثبت بالقواطع انه سبحانه منزه عن الجسمية والتحيز امتنع عليه النزول على معني الانتقال من موضع الي موضع اخضع منه فالمراد نور رحمته أى ينتقل من مقتضى صفة الجلال التي تقتضى الغضب والانتقام الي مقتضى صفة الاكرام التي تقتضى الرأفة والرحمة ( قوله حين يبقى ثلث الليل الاخر ) برقع الاخر لانه صفة الثلث ولم تختلف الروايات عن الزهري في تعيين الوقت واختلفت الروايات عن أبي هريرة وغيره قال الترمذي رواية أبي هريرة اصح الروايات في ذلك ويقوى ذلك ان الروايات الخالصة اختلفت فيها على رواياتهم وسلك بعضهم طريق الجمع وذلك ان الروايات انحصرت في ستة أشياء أو لها هذه ثانياً اذا مضى الثلث الاول ثالثاً الثلث الاول أو النصف رابعاً النصف خامساً النصف أو الثلث الاخير سادساً الاطلاق فاما الروايات المطلقة فهي محمولة على المقيدة وأما التي باوفان كانت أو للشك فالاجدوم به مقدم على المشكوك فيه وان كانت للتردد بين حالين فيجمع بذلك بين الروايات بان ذلك يقع بحسب اختلاف الاحوال لسكون أوقات الليل تختلف في الزمان وفي الآفاق باختلاف تقدم دخول الليل عند قوم وتأخره عند قوم وقال بعضهم يحتمل أن يكون النزول يقع في الثلث الاول والقول يقع في النصف وفي الثلث الثاني وقيل يحمل على ان ذلك يقع في جميع الاوقات التي وردت بها الاخبار ويحمل على ان النبي ﷺ أعلم باحد الامور في وقت فاخبر به ثم اعلم به في وقت آخر فاخبره فنقل الصحابة ذلك عنه والله أعلم ( قوله من يدعوني الخ ) لم تختلف الروايات على الزهري في الافتصار على الثلاثة المذكورة وهي الدعاء والسؤال والاستغفار والفرق بين الثلاثة أن المطلوب امدد المضر أو جلب المسار وذلك أمدد ديني وأمدد نبي في الاستغفار اشارة الى الاول وفي السؤال اشارة الى الثاني وفي الدعاء اشارة الى الثالث وقال السكرماني يحتمل ان يقال الدعاء ما لا يطلب فيه نحو بالله والسؤال الطلب وان يقال المقصود واحد وان اختلف اللفظ انتهى وزاد سعيد عن أبي هريرة هل من نائب فاتوب عليه وزاد أبو جعفر عنه من ذا الذي يستزقي فأرزقه من ذا الذي يستكشف الضر فأكشف عنه وزاد عطاء مولى أم صبية عنه ألا سقيم يستشفى فيشفي ومعا فيها داخلة فيا تقدم وزاد سعيد بن مرجانة عنه من يمرض غير عديم ولا ظلوم وفيه تحريض على عمل الطاعة وأشار الى جزيل الثواب عليها وزاد حجاج بن أبي منيع عن جده عن الزهري سند الدراقطني في آخر الحديث حتي الفجر وفي رواية يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عند مسلم حتي ينهجر الفجر وفي رواية محمد بن عمر وعن أبي سامة حتي يطلع الفجر وكذا اتفق معظم الرواة على ذلك الا ان في رواية نافع بن جبير عن أبي هريرة عند النسائي حتي ترجل الشمس وهي شاذة وزاد يونس في روايته عن الزهري في آخره أيضا ولذلك كانوا يفضلون صلاة آخر الليل على اوله اخرجها الدارقطني أيضا وله من رواية ابن سمعان عن الزهري ما يشير الى ان قائل ذلك هو الزهري وهذه الزيادة تظهر مناسبة ذكر الصلاة في الترجمة ومناسبة الترجمة التي بعدها لهذه ( قوله فاستجيب ) بالنصب على جواب الاستفهام وبالرفع على الاستثناف وكذا قوله فأعطيه واغفر له وقد قري بهما في قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له الاية وليست السين في قوله تعالى فاستجيب للطلب بل استجيب بمعنى اجيب وفي حديث الباب من القوائد تفضيل صلاة آخر الليل على اوله وتفضيل تأخير الوتر لكن ذلك في حق من طمع أن ينتبه وان آخر الليل أفضل الدعاء والاستغفار يشهد له قوله تعالى والمستغفرين بالاسحار وان الدعاء في ذلك الوقت مجاب ولا يعترض على ذلك بتخلقه عن بعض الداعين لان سبب التخلف وقوع الخلل في شرط من شروط الدعاء كالاحتراز في المطعم والمشرب والملبس أو لاستعجال الداعي أو بان يكون الدعاء بآتم

L'imam Ibn Hajar al-Asqalani dit :

“Quant à sa parole *“Yanzilou Rabbouna ‘ila s-Samaa’i d-Dounya”*, les anthropomorphistes (*mouchabbihah*) se sont basés dessus pour confirmer une direction à Allah et ils disent que c’est la direction du dessus (*al-oulouww*) et cela a été renié par les savants (*al-joumhour*), parce que parler ainsi revient à limiter Dieu, qui est exempt de cela.

Puis les gens ont divergé sur le sens de *an-nouzoul* : certains l’ont pris selon le sens apparent et en réalité, ce sont les anthropomorphistes (*al-Mouchabbihah*), et Allah est exempt de ce qu’ils disent.

Certains ont carrément nié la véracité de tous les hadiths parvenus à ce sujet, ceux-là sont les Khawarij et les Mou’tazilah et ceux-là sont vraiment étonnants parce que d’un côté ils interprètent ce qui est parvenu dans le Qur’an qui est du même ordre, et d’un côté ils renient ce qui est parvenu du hadith soit par ignorance, soit par entêtement.

Certains sont passés sur ces textes comme ils ont été révélés en y croyant dans leur globalité et en exemptant Allah du comment des anthropomorphistes, et ceux-là sont la majorité des savants du Salaf . [Par ailleurs], al-Bayhaqi ainsi que d’autres, ont rapporté des quatre imams, des deux Soufyan, des deux Hammad, de al-Awza’i, de al-Layth, et d’autres, qu’ils ont interprété ce texte selon ce qui est digne de Allah et qui est utilisé dans la langue des Arabes.

Certains autres sont allés tellement loin dans l’interprétation que cela revenait à une sorte de distorsion.

Certains autres ont fait la différence entre ce qui est une interprétation “proche” c’est-à-dire utilisée dans la langue des Arabes, et ce qui serait éloigné, et par conséquent, ils ont

interprété dans certains cas et ils ont fait le *tafwid* [laisser le sens à Allah] dans certains cas, et cela a été rapporté de l'imam Malik .

Il a été confirmé par Ibn Daqiq al-Id, de parmi les savants de la nouvelle génération, que al-Bayhaqi a dit que la plus saine [de toutes ces voies] est d'y croire sans comment et de passer sous silence ce qui est visé."

### Points à retenir de cette citation:

- L'imam **Ibn Hajar al-Asqalani** est mort en 852 de l'Hégire, soit il y a plus de 500 ans.
- Son commentaire de **Sahih al-Boukhari**, qui s'appelle "*Fath al-Bari*" est un livre incontournable pour tout étudiant en science de religion et pour tout savant.
- Ici, il dit clairement que ceux qui prennent ce hadith selon son sens apparent ce sont les anthropomorphistes, c'est-à-dire ceux qui font ressembler Dieu à leurs créatures. Il dit aussi que des interprétations ont été rapportées des savants du Salaf tels que les fondateurs des 4 écoles par exemple.